إسرائيـــل

للاستاذ أبو الفتوح عطيفة

دولة « لقيطة » ولدت وكان مولدها ثمرة لأكبر جريمة اقترفها الساسة المعاصرون فى التاريخ : قديمه وحديثه ؛ وإنى أعتبرها بحق جريمة القرن العشرين

ووليد يحتضر وهو يحبو. ولولا مسارعة الدول الديمقراطية لإنقاذه لمات قبل أن يولد ، ولكن الدول أرادت له الحياة فكلما دنت ساعته سارعت إلى نجدته فأنقذته من خطر محقق وموت مؤكد

وأفهي ألق بها بين أحضان الدول العربية لكى تقاتل بالها وتهدد سلامتها وأمنها

وكارثة نزلت بقوم آمنين يقيمون فى بلادهم وادعين ، فأخرجوا من ديارهم بغير حق، وجردوا من أملاكهم وشتت شمل نسائهم وأطفالهم، وألقى بهم فى البيد والعراء جياعا عراة فأصبحوا لا مأوى لهم ولا ملجأ !! وهكذا تمت الجريمة وقامت الدولة

ولعلك أيها الصديق الكريم تسألنى أكان قيام إسرائيل أمرا طارئا أم كانت مسألة مدبرة ؟ وأنا أجيبك بأن السياسة البريطانية لا تعرف المفاجآت وإنما هى سياسة تقليدية تسير وفق خطة موضوعة لا تتغير مهما كان لون الوزراء؛ فوزراء خارجية بريطانيا قد يكونون من المحافظين وربما كانوا من العمال وقد تتغير أشخاصهم ولكن السياسة البريطانية هى السياسة البريطانية لا تتغير ولا تتبدل . وإسرائيل هذه إنما هى ثمرة من ثمرات السياسة البريطانية ، وعمل أثيم من تدبير إنجلترا ووزرائها

وعد

فى خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ — ١٩١٨ قام اليهود بخدمات كبيرة لقضية الحلفاء كما زعمت إنجلترا ، ونتيجة لهذه الخدمات وعد اللورد بلفور وزير خارجية إنجلترا اليهود بأن يتيح لهم أن ينشئوا وطنا قوميا فى فلسطين وكان ذلك فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧

ولسنا ندرى كيف أباح بلفور لنفسه أن يصرح هذا التصريح وأن يعد اليهود بفلسطين ، ولعله لو وعد اليهود باقطاعهم جزءا من قارة أستراليا مثلا لكان موضع ثناء الناس جميعا ، فهناك فى أستراليا جهات واسعة غير مأهولة بالسكان، بل إن جميع سكان القارة يبلغ تعدادهم ٧ ملايين نسمة ، وهى بهذا فى حاجة إلى أيد كثيرة لتنهض بها ولتعمل على استغلال مرافقها ؛ ولكنه بدلا من ذلك يعد اليهود بالعودة إلى وطنهم فى فلسطين ؛ ذلك الوطن الذى طردوا منه منذ آلاف السنين قبل أن يولد المسيح ومحمد صلوات الله عليهما ؛ وليتحقق ذلك ولو كان على حساب قوم أبرياء قد استوطنوا هذه الديار منذ آلاف السنين

وأعجب ما فى الأمر أن فلسطين كانت حتى قيام الحرب العالمية الأولى تابعة لتركيا، فلما قامت الحرب وانضمت تركيا إلى جانب الألمان عمدت إنجلترا إلى إثارة العرب ضد تركيا ووعدتهم بتحقيق استقلالهم عقب انتهاء الحرب . وقد شرب العرب من ماء النهر السام دخلت عليهم الأعيب السياسة البريطانية فمدوا إلى محاربة الأتراك وتحطمت الإمبراطورية العثمانية وتقاسمت فرنسا وإنجلترا ممتلكاتها، فوضعت سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسى، ووضعت العراق وشرق الأردن وفلسطين تحت الانتداب الإنجليزى ؛ وأما مصر فكانت الحماية البريطانية قد أعلنت عليها منذ ١٩١٤

ومما يدعو إلى مزيد من الدهشة أن يصدر بلفور وعده حين آذنت شمس الحرب بالنهاية ، وقبل أن يعقد مؤتمر الصلح ليضع الأمور فى نصابها ، وقبل أن يتقرر أن تكون فلسطين تحت الانتداب البريطانى !!

ومن الطريف أن أذكر ما يذاع من أن اللورد اللنبى قال حين دخل بيت المقدس ١٩١٧ « اليوم انتهت الحروب الصليبية » وأما أنا فأرى أن دخول الغربيين بيت المقدس مرة أخرى كان إيذانا ببدء حرب صليبية جديدة !!

مؤامرة

لما عقدت معاهدة الصلح المعروفة بمعاهدة سيفر ١٩٢٠ وانتدبت بريطانيا لتقوم بالأمر فى فلسطين كان المفروض أن تعمل الدولة المنتدبة على تحسين حال الإقليم الذى انتدبت لإدارته حتى

يصبح أهلا لتولى إدارته بنفسه ، وقد قامت بريطانيا بمهمتها ولكن على طريقة يندى لها جبين الإنسانية وبشكل سوف يكون مثالا للنفاق البشرى واللاثم والعدوان ، فبدلا من أن تعمل على إصلاح حال عرب فلسطين عملت على إحلال اليهود فى بلادهم ويسرت لهم الاستيطان بفلسطين وسمحت لهم بالهجرة إليها وبشراء الأراضى فيها ، وأمدتهم بالأموال والآلات اللازمة ، وظاهرها اليهود فى سائر أنحاء العالم ، وقدثار العرب على بريطانيا واستفحلت ثورتهم فى الفترة من ١٩٣٦ — ١٩٣٩ وهنا وجدت إنجلترا نفسها أمام الحرب العالمية الثانية فاضطرت أن تعمل على إرضاء العرب ، ومرة أخرى خدع العرب ووثقوا فى بريطانيا ووعودها وأخلدوا إلى الهدوء والسكينة ؛ وأما الصهيونيون فقد ضايقهم بطء إنجلترا فى تحقيق أمانيهم فلجأوا إلى الغدر والاغتيال واعتدوا على الموظفين الإنجليز فى فلسطين ، بل إنهم قتلوا وزيرا بريطانيا هو اللورد موين فى القاهرة !!

مملكة

وانتهت الحرب وبدأت إنجلترا تقلب للعرب ظهر المجن وتكشر عن أنياب الغدر فرتبت أمورها وأعدت عدتها وعقدت معاهدة مع شرق الأردن ١٩٤٦ وبمقتضاها أصبح الأمير عبد الله ملكا لشرق الأردن ، وقد اشترط فى المعاهدة أن تسمح شرق الأردن لبريطانيا بوضع جنود بريطانيين فى أراضيها على قدر ما ترغب بريطانيا أو تراه ضروريا ، ومن عجب أن شرق الأردن هذه مملكة لا سواحل لها . ولست أدرى كيف تستطيع القوات البريطانية الوصول إلى شرق الأردن ما دامت بريطانيا قد أعلنت أنها ستترك فلسطين ؟! لكن بريطانيا دبرت وقدرت فهى ستخرج من فلسطين لتعود إليها من جديد وفى شكل جديد، ولن يكون ذلك إلا بقيام إسرائيل

بعد عمل الترتيبات السابقة أعلنت بريطانيا أنها قد يئست من إصلاح الأمر فى فلسطين، وأنها تعلن انتهاء الانتداب البريطانى فى ١٥ مايو ١٩٤٨

وما حل هذا اليوم حتى انسحبت بريطانيا من فلسطين وأصبح العرب وجها لوجه أمام الصهيونيين ، وسارعت الدول العربية إلى نجدة العرب وأحرزت قواتها انتصارات رائعة ، وفى مدى أيام بانت الجيوش العربية تهدد تل أبيب عاصمة إسرائيل

وفجأة تتدخل إنجلترا وأمريكا وتأمر الدول العربية بوقف القتال وإعلان الهدنة ، وترى الدول العربية نفسها فى موقف حرج وتقرر قبول الهدنة . وفى فترة الهدنة تستعد إسرائيل وتنسحب شرق الأردن وتاهب بريطانيا فتمنع السلاح عمن تشاء وتعطى من تشاء؛ ويتجدد القتال وقد تآمرت أمريكا وإنجلترا مع إسرائيل على العرب وينتهى الأمر بقيام دولة إسرائيل !! ويطرد العرب من أوطانهم وتقوم دولة فى القرن العشرين على أساس دينى فى الوقت الذى ترى فيه الدول الغربية أن مجرد تمسك أمة من الأمم بدينها رجعية لا مبرر لها

التاريخ يعيد نفسه

أيها العرب : ليست هذه أول مرة تبغى فيها أمم الغرب عليكم وتعتدى على أوطانكم ؛ فأنتم جميعا تعرفون أن فلسطين والأقطار الإسلامية قد استهدفت لعدة حملات معروفة باسم الحروب الصليبية وكانت أولاها فى المدة من ١٠٩٧ إلى ١٠٩٩ وقد نجح الصليبيون فى هذه الحرب من فتح سواحل الشام ودخول بيت المقدس . وقد كتب قائدهم إلى البابا يبشره بما أحرزه من نصر فقال « إذا أردت أن تعرف مدى انتصارنا فاعلم أن خيولنا كانت تسبح فى بحار من دماء المسلمين ؟ » وقد حق له أن يقول ذلك فقد قتل الصليبيون أكثر من ٧٠ ألفا من المسلمين وتمكنوا من تأسيس ما عرف باسم الإمارات اللاتينية ، وما إسرائيل إلا إمارة لاتينية فى القرن العشرين، وما أشبه الليلة بالبارحة !

وقد دام بقاء الصليبيين فى الشرق قرنين من الزمان ؛ ثم طردوا نهائيا من الشرق ، وعاد بيت المقدس والأماكن المقدسة فيه إلى يد المسلمين

ولكن لا تحسبن أيها القارئ أن هذا العمل كان سهلا ميسرا بل على العكس كان هذا العمل شاقا عسيرا ، ولكن هم الرجال وعزائم الأبطال هى التى مكنت للعرب من استرداد حقوقهم، ويرجع الفضل فى ذلك إلى بطلين عظيمين.. هما نورالدين محمود وصلاح الدين الأيوبى ، وقد استطاع الأخير أن يعيد فتح بيت المقدس وأن يضيق على الصليبيين حتى أصبحت أملاكهم

لا تتجاوز شريطا ضيقا من صور إلى يافا . وتم طردهم نهائيا فى عصر المماليك

مقارنة

وجدير بنا أن نذكر أن الصليبيين كانوا أكثر إنسانية من الصهيونيين، فبرغم أن الحملات الصليبيـة جاءت إلى الشرق فى العصور الوسطى وهى عصور تعتبر عصورا متأخرة ، إلا أنهم لم يقترفوا من الإثم ما اقترفه الصهيونيون . ذلك أن الصليبيين لم يطردوا العرب من ديارهم وإنما أبقوا عليهم وتركوهم فى ديارهم آمنين مطمئنين ، أما فى القرن العشرين عصر المدنية والتقدم فقد اقترف الصهيونيون أشنع الإثم وأكبر الجرائم ، فطردوا السكان الآمنين من ديارهم وشردوا نساءهم وأطفالهم ، وهكذا تكون المدنية والإنسانية ؟

المعاملة بالمثل

وقد يطيب لى أن أذكر أن الدول العربية تؤوى فى ديارها أعدادا كبيرة من اليهود وهم أصحاب رءوس الأموال الضخمة ، ولست أدرى ماذا تفعل الدول الغربية لو أن الدول العربية لجأت إلى معاملة اليهود بالمثل فطردتهم من بلادها ؟ ما أحسب إلا أن هـذه الدول سوف تقوم ثائرتها وسوف ترى المسلمين بأنهم قوم متعصبون متأخرون وربما تدخلت بالقوة لمنع الدول العربيـة من تنفيذ مثل هذه الخطوة ، أما إسرائيل فلها أن تفعل ما تشاء ولها أن تدل كما تشاء فقد اشترت ذمم ساسة الغرب بأموالها وأعراضها

وإذا العناية (١) لاحظتك عيونها
نم فالمخاوف كلهن أمان

العرق الصربى

نعم يا أخى إنك لو أنعمت النظر قليلا لرأيت ثم رأيت أمرا عجيبا، فإنجلترا دولة صديقـة للدول العربيـة ما فى ذلك شك وهى كذلك دولة حليفة لهم فبينها وبين مصر والعراق وشرق الأردن وغيرها معاهدات تحالف وصداقة ، ولـكن هذه الدولة الصديقة هى التى أقامت إسرائيل فى ديار العرب لتقلق بالهم وتشغل أذهانهم وقلوبهم ، وهى التى منعت السلاح عن العرب عند انتصارهم على اليهود، وهى التى دفعتهم إلى قبول الهدنة الأولى بعد أن أصبح النصر أمرا محققا وواقعا مؤكدا ، وهى التى تحتل ديارهم وبلادهم ؟؟

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى
عدوا له ما من صداقته بد

والأدلة

لا ترع يا صديقى فإن السنين ليس لها حساب فى تاريخ الأمم، وقد رأيت أن الصليبيين أقاموا فى الشرق مائتين من السنين ، ولا ضير إذن من أن تقوم إسرائيل فمصيرها معروف مفهوم ، ولـكن ذلك لن يتم إلا إذا كانت الدول العربية فى منتهى اليقظة تعمل على جمع كلمتها وتوحيد قوتها وإعداد القوات اللازمة لحمايتها إعدادا حربيا حديثا . وأهم من ذلك أن تؤمن بقضيتها وبعدالة مطالبها . إذا أمكن ذلك وهو ممكن إن شاء الله فستقضى هـذه الدول على إسرائيل . أما إن أهملت شؤونها وتفرقت كلمتها فإن إسرائيل ستقضى عليها ، وها هى قد بدأت عدوانها على مصر منذ حين وأخيرا على سوريا ، ولست أدرى كيف ينتهى الخلاف بينهما ، وإنما أرجو ربى أن يهيئ لنا من أمرنا رشدا

أبو الفتوح عطيفة
مدرس أول العلوم الاجتماعية
بسمنود الثانوية

(١) « العناية البريطانية »

تظهر قريباً الطبعة الثامنة
من كتاب
آلام فرتر
للأستاذ أحمد حسن الزيات
وهى القصة العالمية الواقعية الرائعة الخالدة
للشاعر الفيلسوف
« جوته » الألمانى .